Journal Of the Iraqia University (76-5) August (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

تحليل آراء السيد جعفر مرتضي العاملي في نقد مرويات السيرة علي ضوء تحليل التيارات السياسية في عصر الوضع

بيداء احمد عبد الكريم
الدكتور المشرف كوثر يوسفى نجف آبادى
جامعة كاشان ايران

Analysis of Sayyid Ja'far Murtada al-'Amili's views on the critique of biographical narratives in light of an analysis of political currents in the era of the situation

Prepared by: PhD student
Supervisor: Kawthar Yousfi Najafabad
Baydaa Ahmed Abdul Karim
Kashan University - Iran
bedaaabd909@gmail.com
kr.yusefi@ymail.com

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى استجلاء ومعالجة الأبعاد المنهجية والمعرفية لـ «**النقد المتني والسوسيوسياسي**» عند العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي (رحمه الله)، عبر التركيز على كيفية استثماره لقرينة «**تحليل التيارات السياسية في عصر الوضع**» بوصفها أداة نقدية تفكيكية لمرويات السيرة النبوية الشريفة.وتتحدد مشكلة البحث في التساؤل المنهجي المحوري: كيف استطاع العاملي كشف أثر التدافع السلطوي والأيديولوجي في صياغة، أو تحريف، أو بَتْن المادة السيرية والحديثية؟ولمعالجة هذه المشكلة، اعتمدت الدراسة على «**المنهج الاستردادي التحليلي المقارن**» القائم على استقراء المقولات والآراء النقدية للعاملي في أمهات مصنفاته—ولا سيما موسوعته الكبرى «الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)» وكتابه «الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)» — ومقابلتها بالمصادر التاريخية والحديثية المعتمدة.

وقد انتهت الدراسة إلى جملة من النتائج العلمية، أبرزها:

١. إن ظاهرة "الوضع والتحريف" في التاريخ والسيرة عند العاملي لم تكن سلوكاً فردياً عابراً أو هفوة أخلاقية من بعض الرواة، بل كانت سياقاً مؤسساتياً منظماً رعته السلطات المتعاقبة (الأموية، العباسية، والزبيرية والعثمانية) لشرعنة وجودها وتوظيف بيت المال والإعلام السلطوي لصناعة الفضائل والمطاعن.

٢. إن الاقتصار على "النقد الرجالي الأسنادي" الشكلي يظل عاجزاً بمفرده عن حماية المأثور السيري من التزوير والتحريف الناعم (كالبَتْنِ، وإسقاط القرائن الزمانية والمكانية، والتلاعب بالتقديم والتأخير)؛ مما يستوجب منح الصدارة لـ "النقد المتني المركّب".

٣. أثبتت التطبيقات النقدية للعاملي حجية "الشك المنهجي البنّاء" في استنطاق النص التاريخي وإعادة بنائه في ضوء ظروف صدوره وتدوينه، لاستنقاذ الحقائق النبوية الناقعة من تحت ركام التوجيه الأيديولوجي.

الكلمات المفتاحية:السيد جعفر مرتضى العاملي؛ نقد السيرة النبوية؛ عصر الوضع؛ التيارات السياسية؛ النقد المتني.

Abstract:

This research aims to elucidate the methodological and epistemological dimensions of textual and socio-political criticism in the scholarship of the eminent researcher Sayyid Ja'far Murtada al-'Amili. It focuses specifically on

his deployment of the analytical tool **"the analysis of political currents during the era of fabrication ('Asr al-Wad')"** to deconstruct and evaluate narratives of the Prophetic Biography (Sirah).
The central research problem revolves around the following inquiry: How did al-'Amili uncover the influence of authority-driven and ideological rivalries in formulating, distorting, or truncating historical and Hadith material?
To address this issue, the study adopts an **analytical and comparative historical approach**, extrapolating al-'Amili's critical principles from his primary works—most notably his monumental encyclopedia Al-Sahih min Sirat al-Nabi al-A'zam and Al-Hayat al-Siyasiyyah li-l-Imam al-Rida—and examining them against authoritative classical historical sources.
The study reached several key findings, most notably:
1.**Fabrication as an Institutional Practice:** Al-'Amili demonstrates that the phenomenon of fabrication and text distortion in Sirah was not a series of isolated individual errors or moral lapses by individual narrators. Rather, it constituted an organized, state-sponsored framework utilized by successive ruling factions (Umayyad, Abbasid, Zubayrid, and 'Uthmanid) to legitimize political authority and deploy state patronage for constructing virtues or detractions.
2.**Limitations of Formal Isnad Criticism:** Sole reliance on formal Isnād (chain of transmission) analysis remains insufficient for safeguarding historical narratives against subtle textual alterations (such as truncation, omission of contextual indicators, and chronological rearrangements). This necessitates prioritizing comprehensive textual (Matn) and contextual criticism.
3.**Efficacy of Constructive Skepticism:** Al-'Amili's application proves the validity of constructive methodological skepticism in questioning historical texts within their political environments, ultimately recovering authentic historical realities from beneath layers of ideological manipulation.
Keywords: Sayyid Ja'far Murtada al-'Amili; Critique of Prophetic Biography (Sirah); Era of Fabrication ('Asr al-Wad'); Political Currents; Textual Criticism (Matn Criticism).

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، الذين جعلهم الله أعياناً للحق، ومراجع للهدى، وصيانةً للدين من تحريف الغالين وانتحال المبطلين.أما بعد؛فإن السيرة النبوية الشريفة لا تمثل مجرد مدونة تاريخية تُحكى فيها وقائع الماضي، بل هي المصدر التأسيسي الثاني للتشريع الإسلامي، والمنظار المعرفي الذي يُفهم من خلاله النص القرآني وتتحدد به المعالم القيمية والأحكام العملية للأمة. غير أن هذه المدونة الكبرى لم تسلم—عبر حركتها التاريخية—من معترك الصراعات السياسية والفكرية التي عصفت بالأمة عقب العصر النبوي؛ إذ تحولت السيرة في أحيان كثيرة إلى "**ساحة اشتباك أيديولوجي**" وظفتها التيارات الحاكمة والمصالح السلطوية لإضفاء المشروعية على وجودها، أو لإسقاط خصومها، أو لإعادة تشكيل الذاكرة الجمعية للمسلمين.وقد نتج عن هذا التدافع ظهور حركة واسعة من "**الوضع، والتحريف، والإدراج، والكتمان**" في نقل مرويات المغازي والسير، مما جعل نقد التراث التاريخي ضرورة منهجية وأخلاقية حتمية. ولئن اقتصر المنهج التقليدي عند كثير من المحدثين على "النقد الأسنادي الشكلي" للرجال، فإن طبيعة النص التاريخي تتطلب مجاوزة ذلك إلى "**النقد المتني والتاريخي المركّب**" الذي يستحضر البيئة السياسية التي وُلد فيها الخبر أو أُعيدت صياغته.

وفي هذا الميدان العلمي الفسيح، يبرز مشروع العلامة المحقق **السيد جعفر مرتضى العاملي (رحمه الله)** بوصفه طليعة نقدية معاصرة استطاعت أن تؤسس لـ "مدرسة في نقد مرويات السيرة" ترتكز على **تفكيك الحوامل السياسية للنص**، وقراءة المرويات في ضوء الصراعات التي شهدها "عصر الوضع" (الأموي، العباسي، والزبيري). فقد جعل العاملي من تحليل اتجاهات السلطة ومصالحها قرينةً نقدية قاطعة لكشف الأحاديث والقصص التي صُممت برعاية سياسية.

أهمية البحث

تستمد هذه الدراسة قيمتها الأكاديمية والبحثية من خِلال المحاور الآتية:

١. **التحول من نقد السند إلى نقد السياق:** تقديم قراءة منهجية تكشف كيف يتجاوز النقد التاريخي عند العاملي مجرد فحص أسانيد الرجال إلى فحص "البنية السياسية والظرفية" التي أنتجت الخبر التاريخي.

٢. **كشف آليات التوجيه السلطوي للحديث:** تبيان الوسائل التي استخدمتها السلطات التاريخية المتعاقبة لإعادة صياغة السيرة النبوية، وكيف نجح العاملي في وضع مساطر نقدية لفك هذه المشابكات.

٣. **الرفد المعرفي للمكتبة الأكاديمية:** رفد الدراسات الأكاديمية في جامعة بغداد بدراسة تحليلية نقدية تجمع بين التأسيس النظري والتمثيل التطبيقي المباشر لأحد أبرز المحققين المعاصرين في التاريخ الإسلامي.

مشكلة البحث وأسئلته

تتحدد مشكلة البحث في التساؤل المنهجي المركزي الآتي:

"كيف استثمر السيد جعفر مرتضى العاملي أداة تحليل التيارات السياسية في عصر الوضع لنقد مرويات السيرة النبوية، وما الآليات التطبيقية التي اعتمدها لكشف النصوص الموضوعة والمحرّفة بدافع سلطوي؟"

ويتفرع عن هذا التساؤل الأسئلة الآتية:

- ما المرتكزات المفهومية لـ "عصر الوضع" ودوافع التحريف السياسي للنص التاريخي عند العاملي؟
- كيف استطاع العاملي تتبع بصمات الاتجاهات السياسية (الأموية، العباسية، والزبيرية) في متون السيرة؟
- ما الشواهد والنماذج التطبيقية التي أعمل فيها العاملي هذه القرينة السياسية لإعادة بناء الواقعة التاريخية على وجهها الصحيح؟

الدراسات السابقة والفجوة البحثية

عند استقراء الأدبيات والأطاريح الأكاديمية التي قاربت هذا المجال، يمكن تقسيم الدراسات السابقة إلى اتجاهين:

١. دراسات تناولت موضوع الوضع في الحديث عامة: وهي بحوث ركزت على أسباب الوضع ودوافع الوضاعين بأسلوب قواعدي عام دون تطبيق ذلك تفصيلياً على سيرة النبي (صلى الله عليه وآله).

٢. دراسات تناولت شخصية العاملي: واقتصر أغلبها على دراسة جهوده الرجالية، أو ضبطه للوقائع الزمانية والمكانية في السيرة، دون إفراد "البُعد السياسي والتحليل الأيديولوجي للتيارات" بدراسة مستقلة.

- الفجوة البحثية (Research Gap):

تكمن الإضافة العلمية لهذه الدراسة في ردم الفجوة بين نقد المتن التاريخي وبين علم الاجتماع السياسي لعصر الوضع؛ إذ تُفرد هذه الدراسة المنهج السياسي عند العاملي بالتحليل، وتبرهن بالدليل التطبيقي أن "الوضع" لم يكن مجرد تصرف فردي من راوٍ وضاع، بل كان سلوكاً منظماً وموجهاً من التيارات السياسية الحاكمة.

منهج البحث وعينته

- المنهج: اعتمد البحث "المنهج الاستردادي التحليلي النقدي"؛ القائم على استقراء الآراء والمواقف النقدية للعاملي، ثم تحليلها وتفكيك أدواتها وفق القواعد العلمية المعتمدة في نقد التاريخ.
- عينة البحث (المادة الخام): ضماناً للرصانة وتجنباً للإرسال والتنظير المجرد، تتحدد العينة التطبيقية للبحث في:

١. كتاب «الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)» للعاملي (نصوص ومقاطع مختارة تعاطت مع الوقائع المفصلية كـ: بدء الوحي، الهجرة، حلف الفضول، صلح الحديبية، ورزية الخميس).

٢. كتاب «الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)» (في جانبه التأصيلي لدوافع الوضع السياسي).

المبحث الأول التأسيس المفهومي والمنهجي لنقد السيرة عند السيد جعفر مرتضى العاملي

تُمثّل مدوّنات السيرة النبوية الشريفة الذاكرة المعرفية والتشريعية الأولى للأمة الإسلامية؛ إذ إنها تعكس صورة التطبيق الميداني للأحكام الإلهية والمرتكزات الأخلاقية التي جاء بها الدين الحنيف[١]. غير أن هذه المدوّنات لم تنشأ في بيئة معزولة عن التدافع الاجتماعي والسياسي، بل تخلّقت في أحضان تحولات تاريخية حادة شهدت تشكُّل العصبويات المذهبية والسلطوية عقب العصر النبوي[٢]. ومن هنا، فإن التعاطي مع المادة السيرية بوصفها نصوصاً يقينية بجميع جزئياتها يُمثل القفز على الحقائق التاريخية التي تُؤكد تعرض التراث التاريخي لحركات واسعة من الوضع، والتحريف، والإدراج الصادر عن دوافع شتى[٣].وقد أدرك السيد المحقق جعفر مرتضى العاملي (رحمه الله) عمق هذه الأزمة المنهجية في التعاطي مع المأثور التاريخي؛ فأسس لمشروع نقدي رائد لم يكتفِ بالوقوف عند الأطر الشكليّة للنص أو الاكتفاء بالفحص الرجالي لأسانيده، بل تجاوز ذلك إلى "تأسيس بيئة نقدية متكاملة" تُحاكم الخبر السيري إلى معايير العقل الصريح، والمحكم القرآني، والتناسق التاريخي، مع التركيز المكثف على "البيئة السياسية والأيديولوجية" التي صاغت الخبر أو أعادت توجيهه[٤].ولفهم هذه الرؤية النقدية واستيعاب مرتكزاتها المعرفية قبل خوض غمار التطبيقات الميدانية، يتناول هذا المبحث التأسيس المفهومي والمنهجي لنقد السيرة عند العاملي، وذلك من خلال تقسيمه إلى ثلاثة مطالب رئيسة:

- المطلب الأول: التعريف بالسيد جعفر مرتضى العاملي ومقومات مدرسته النقدية.
- المطلب الثاني: مفهوم "عصر الوضع" ودواعيه (التمويل السلطوي، الصراع الفكري، وصناعة الشرعية).
- المطلب الثالث: التمايز المنهجي بين "النقد الرجالي الأسنادي" و"النقد التاريخي المتني" عند العاملي.

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤١٥هـ، جـ ١، ص ١٥ – ١٨.

(٢) دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، بيروت: مؤسسة المنتظر، ط١، ١٤١٢هـ، جـ ١، ص ٤٢ – ٤٥.

(٣) الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: جماعة المدرسين، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص ١١ – ١٤.

(٤) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، مصدر سابق، جـ ١، ص ٢٣ – ٢٨ (مقدمة الطبعة الأولى).

المطلب الأول: التعريف بالسيد جعفر مرتضى العاملي ومقومات مدرسته النقدية

أولاً: التكوين المعرفي والمعالم الفكرية للمحقق العاملي

يُعدّ العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي (١٣٦٤ – ١٤٤١هـ / ١٩٤٥ – ٢٠١٩م) أحد أبرز أعلام التحقيق التاريخي في الفكر الإسلامي المعاصر. ولد في جبل عامل بلبنان، ثم انخرط في تحصيل العلوم الدينية في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، متتلمذاً على كبار مراجعها، قبل أن ينتقل إلى الحوزة العلمية في قم المقدسة ليواصل البحث والتدريس والتأليف[١].وقد اتسم المشروع العلمي للعاملي بالتخصص الدقيق في دراسة التاريخ الإسلامي المبكر والسيرة النبوية الشريفة، متجاوزاً الانطباعية السائدة إلى تأسيس مشروع نقدي موسوعي يتجلى في أثرها الأكبر: **«الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)»** (في خمسة وثلاثين مجلداً)، إلى جانب مصنفاته الأخرى كـ **«الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)»**، و«دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام»[٢]تكمن فرادة العاملي في أنه لم يتعامل مع النص التاريخي بوصفه مدونة يدوية معصومة من الخلل، بل نظر إليه بوصفه **"وثيقة خاضعة للشرط التاريخي والصراع الإنساني"**؛ فركز جهده النقدِيّ على تفكيك المتون ومحاكمتها إلى المرتكزات العقلية، والدينية، والواقع السياسي الذي أحاط بجمع السيرة وتدوينها.

ثانياً: المقومات الأساسية للمدرسة النقدية عند العاملي

ترتكز المدرسة النقدية للسيد جعفر مرتضى العاملي في قراءة وتفكيك مرويات السيرة النبوية على جملة من المقومات العلمية المتكاملة، والتي يُمكن إيجازها في المحاور الآتية:

١. الشمولية والاستقراء التتبعي المقارن

رفض العاملي النظرة الجزئية للنص التاريخي التي تقطع الخبر عن أخواته؛ فأسس لمنهج الاستقراء الموسوعي؛ إذ يجمع كافة الطرق والروايات الواردة في المورد الواحد في مختلف المصادر (الإمامية، والمقريزية، والطبرية، وابن هشام، وابن سعد)، ثم يجري بينها مقارنة دقيقة لكشف التناقضات، والإدراجات، والتغييرات التي طرأت على اللفظ عبر العصور[٣].

---

(١) تراجم الرجال والمعاصرين، محمّد حسام الأعرجي، قم: دار التراث، ط١، ١٤٢٨هـ، جـ ٢، ص ١٨٠ – ١٨٤.

(٢) جهود السيد جعفر مرتضى العاملي في تحقيق السيرة النبوية، هيئة التحقيق، مجلة تراثنا، قم: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، العدد ١١٢، ١٤٣١هـ، ص ٤٥ – ٤٩.

(٣) دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، بيروت: مؤسسة المنتظر، ط١، ١٤١٢هـ، جـ ١، ص ١٥ – ١٩.

٢. تقديم النقد المتني المزدوج (العقلي والشرعي)

يرى العاملي أن ثبوت أسناد الخبر لا يكفي لإثبات صحته التاريخية، إذ إن النساخ والوضاعين أتقنوا تركيب الأسانيد الصحيحة على المتون المكذوبة. ومن ثمّ، وضع مقوم "النقد المتني" في الصدارة عبر عرض الرواية على:

- **المحكم القرآني:** فكل رواية تخالف عصمة النبي أو تنسب إليه ما ينافي القرآن تُردّ وتُطرح.
- **البديهة العقلية:** فالحوادث التاريخية يخضع وقوعها لقوانين الإمكان العادي والعقلي، ولا يُقبل من الأخبار ما ينقض الضرورات[١].

٣. واعٍ بالبعد الأيديولوجي والسياسي للنص (تشخيص "عصر الوضع")

يُعدّ هذا المقوم العمود الفقري لمدرسة العاملي النقدية؛ فهو ينطلق من رؤية مفادها أن التدوين التاريخي الأولي كان خاضعاً لرعاية السلطات الحاكمة وإرادات التيارات السياسية المتمثلة في الدولتين الأموية والعباسية والزبيريين. ومن ثمّ، فإن الناقد التاريخي مطالبٌ بـ **"كشف الأجندة السياسية"** خلف كل خبر يمسّ أهل البيت (عليهم السلام) أو يصنع فضائل وهمية لبعض الشخصيات النفعية[٢].

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤١٥هـ، جـ ١، ص ٥٥ – ٥٨.
(٢) الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: جماعة المدرسين، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص ٢٢ – ٢٧.

ثالثاً: القراءة التحليلية لمباني العاملي ونصوصه النقدية

لتأصيل هذا المنحى النقدي، يستحضر البحث موقفي العاملي المنشورين في مقدمات عمله الموسوعي؛ حيث يؤكد في المورد الأول أن التعاطي مع المأثور التاريخي يحتاج إلى حس نقدِي متيقظ؛ إذ يقول:«إننا لا نستطيع أن نثق بكل ما يُروى في كتب التاريخ والسير لمجرد أنه مُسطّر في أوراق قديمة، أو لأن رواة الخبر من المشاهير. بل إن مسؤولية المؤرخ النقاد هي أن يفحص تلك النصوص في ضوء البيئة التي ولدت فيها، ويكشف عن الأغراض والنزعات التي ساهمت في صياغتها، ليميز بين الأصيل والطفيل... وإن الوضع في السيرة لم يكن مجرد نزوة فردية، بل كان في كثير من أحيانه سياقاً منظماً تُغذيه التيارات السياسية والذهنيات الفئوية لإعادة تشكيل التاريخ وفق مصالحها»[١].ويُكمل العاملي تحديد أبعاد منهجه في موضع آخر موضحاً مسألة الشك العلمي المنهجي بقوله:«إن الشك المنهجي العلمي لا يعني إنكار الحقائق أو إسقاط التراث، بل هو وسيلة للتثبت، وإثارة الأسئلة المشروعة حول النص التاريخي: لماذا قيل هذا الخبر في هذا التوقيت بالذات؟ ومن المستفيد من إشاعته في ذلك الظرف السياسي؟ وما هو النص الأصلي الذي قُطع أو حُرّف لتتغير الدلالة؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة هي التي تفتح لنا باب الوصول إلى السيرة الصحيحة النقية»[٢].

التحليل الأكاديمي لصنيع العاملي:

ينشف التحليل العلمي لهذين الموقفين عن وعي نقدي واضع بآفات التدوين؛ ففي القراءة الأولى، يقطع العاملي الصلة مع القبول الساذج للخبر التاريخي لمجرد قِدم مصدره أو شهرة ناقليه، حاصراً القيمة العلمية في ممارسة **"التحليل البيئي للخبر"**. فهو يربط بوضوح حاسم بين النص التاريخي وبين المصالح الأيديولوجية والسياسية للجهة الراعية للتدوين، مما يحول عملية نقد السيرة من جرح وتعديل شكلي للرجال إلى **"نقد سوسيولوجي وتاريخي للبنية السياسية"** التي وُلد فيها الخبر.وفي القراءة الثانية، يؤسس العاملي لـ **"الشك المنهجي البنّاء"** بوصفه أداة تفكيكية تحرث النص التاريخي عبر طرح أسئلة السياسة والظرفية: (مَن المستفيد؟ وما الظرف السياسي للصدور؟). وهذا المسلك النقدي ينقل الباحث من موقف المستهلك للرواية إلى موقف الناقد الفاحص الذي يفكك دوافع التحريف، ويزيل حجب الإدراج، وصولاً إلى استعادة الشاهد التاريخي النقِي من شوائب الصراع.

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، مصدر سابق، جـ ١، ص ٣٢ – ٣٣ (مقدمة الطبعة الأولى).
(٢) المصدر نفسه، جـ ١، ص ٤٠.

المطلب الثاني: مفهوم «عصر الوضع» ودواعيه عند العاملي

أولاً: التحديد المفهومي والزمني لـ «عصر الوضع»

لا يرى السيد جعفر مرتضى العاملي في ظاهرة "الوضع" مجرد هفوة أخلاقية عابرة ارتكبها بعض الرواة، أو خطأ فردي وقع فيه الأخباريون، بل ينسج لها تأصيلاً معرفياً يضعها في إطارها المنظم بوصفها **«عصر الوضع»**؛ وهو المدى الزمني والهيكلي الذي تحول فيه التدليس والتزوير إلى سياق مؤسساتي تحميه المصلحة السياسية وتغذيه إرادة السلطة[١].ويرى العاملي أن بذور هذا العصر وإن ظهرت مع بدايات التنافس على الشرعية عقب رحيل النبي (صلى الله عليه وآله)، إلا أنه استوى على سوقه وصار منهجاً خاضعاً لرعاية الدولة في العصرين الأموي والعباسي[٢].ففي هذه المرحلة، خرج الحديث الشريف والنص السيري من دائرة البلاغ الديني المجرد إلى أروقة الصراع على الحكم؛ فلم يقتصر التغيير على ابتكار مرويات خيالية من العدم، بل تجاوز ذلك إلى ممارسات أشد خطراً على الذاكرة التاريخية؛ كبتن النصوص، وإسقاط القرائن الزمانية والمكانية، وتحريف أسباب الورود، وإدماج هوامش الشراح في صلب المأثور النبوي[٣].

ثانياً: المحركات والدوافع الفاعلة في عصر الوضع

يُحلل العاملي الدوافع التي أسهمت في اتساع حركة التزوير التاريخي، ويُرجعها إلى ثلاثة عوامل رئيسة شكلت البنية التحتية لتشكيل المرويات البديلة:

١. **التمويل السلطوي والرعاية الرسمية للوضّاعين:**

يؤكد العاملي أن المرويات المحرفة ما كان لها أن تنتشر وتأخذ طريقها إلى المدونات الكبرى لولا النفوذ المالي والسياسي الذي أُحيطت به.

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤١٥هـ، جـ ١، ص ٦٢ – ٦٤.

(٢) الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: جماعة المدرسين، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص ٣٠ – ٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥ – ٣٧.

فقد عمدت السلطات المتعاقبة إلى تسخير بيت المال لشراء الرواة والقصاص، واصطناع مناقب وفضائل تُغطي على الهنات السياسية لبعض الشخصيات، مقابل الحط من خصومهم وفي مقدمتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل البيت (عليهم السلام)؛ مما حول نقل التاريخ إلى حرفة تُطلب بها المعايش والتزلف لدى الحكام[١].

٢. **صناعة الشرعية وإيجاد المسوغ الفقهي:**

أمام افتقار بعض السلالات الحاكمة إلى السند الشرعي الصريح أو الاختيار الأمة الحر، برزت الحاجة إلى إيجاد مرويات تُضفي على وجودها طابع الضرورة والقداسة. فأُنتجت أحاديث تؤسس لطاعة الحاكم وإن كان جائراً، وأُعيدت صياغة حوادث السيرة المفصلية (كبدء الوحي، وبدر، والحديبية) لتناسب البيوتات الحاكمة وتمنحها سبقية ومكانة في التاريخ النبوي[٢].

٣. **التوجيه المذهبي والصراع الكلامي:**

مع نشأة المذاهب والفرق الكلامية والفقهية، سعى كل اتجاه إلى استمالة الجماهير وتثبيت مقولاته عبر نسج شواهد سيرية ونبوية تدعم آراءه في الجبر، والرجاء، وإرجاء التكفير؛ فنشطت حركة دؤوبة لنسبة المقالات المتأخرة إلى العصر النبوي لإحاطتها بالهيبة والقبول[٣].

ثالثاً: التحليل العلمي لنصوص العاملي ومبانية

لتجسيد هذا المعنى، يُمكن الوقوف على الرأي الذي يقرره العاملي في موسوعته التاريخية؛ إذ يُبين أن ظاهرة الوضع في الحديث والتاريخ لم تكن حركة عفوية نابعة من جهل بعض الرواة، بل كانت سياسة رسمية اعتمدتها السلطة الحاكمة في العصر الأموي وما تلاه، بهدف إيجاد رصيد روائي يبرر سلوكها السياسي، ويضفي الشرعية على وجودها. وقد رُصدت لأجل ذلك الأموال المجهزة، ورُفعت منازل القصاص والأخبارية الذين أتقنوا صياغة الفضائل والمناقب وفق الطلب، حتى أضحت السيرة النبوية ميداناً لتصفية الحسابات السياسية[٤].

---

(١) دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، بيروت: مؤسسة المنتظر، ط١، ١٤١٢هـ، جـ ١، ص ٧٠ – ٧٢.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، مصدر سابق، جـ ١، ص ٧١ – ٧٣.

(٣) المصدر نفسه، جـ ١، ص ٧٤ – ٧٦.

(٤) المصدر نفسه، جـ ١، ص ٧٨.

ويُضيف في موضع آخر موضحاً الخطورة المنهجية لهذه الحركة بالقول إن الخطورة الكبرى في عصر الوضع لا تكمن في الروايات المكذوبة كلياً فحسب، بل في الأحاديث التي جرى عليها التحريف الذكي؛ بإسقاط قرينة، أو بزيادة كلمة توهم خلاف المراد، أو بإعادة ترتيب الحوادث زمنياً لتجريد النص من دلالته الإدانية للسلطة؛ وهنا يأتي دور الباحث النقاد في إعادة قراءة النص في ضوء محركاته السياسية لتفكيك هذا التزوير الإيدولوجي[١].

قراءة تحليليّة في صنيع العاملي:

يُظهر التأمل العلمي في مباني العاملي أنه ينزع عن حركة التزوير التاريخي صفة الفردية والعفوية، ليضعها مباشرة في خانة "**السلوك المؤسساتي الموجه**".

فالتحليل هنا يتجاوز الفحص الأخلاقي الذاتي للراوي ليصل إلى "**فحص المصلحة السياسية والاقتصادية**" التي دعت إلى إنتاج الخبر.كما أنه ينبه المؤرخ النقاد إلى عدم الاغترار بالظاهر المتني؛ فالتحريف السلطوي اللطيف—كالبتن أو التقديم والتأخير—قد يكون أشد تأثيراً من الكذب الصريح؛ لأنه يُبقي على هيكل الواقعة لكنه يُفرغها من محتواها وحجيتها النقدية.

---

(١) *المصدر نفسه*، جـ ١، ص ٨٣.

المطلب الثالث: التمايز المنهجي بين "النقد الرجالي الأسنادي" و"النقد التاريخي المتني" عند العاملي

أولاً: حدود الاكتفاء بالنقد الرجالي الأسنادي في دراسة السيرة

يُميّز السيد جعفر مرتضى العاملي في مشروعه النقدي تمييزاً دقيقاً بين المنهجية المتبعة في نقد النص الفقهي، وتلك المتبعة في معالجة النص التاريخي والسيري. ويرى أن الاقتصار على "**النقد الرجالي الأسنادي**"—القائم على فحص أحوال الرواة جرحاً وتعديلاً، وتتبع اتصال السند وانقطاعه—وإن كان أداةً رئيسة في استنباط الأحكام الشرعية، إلا أنه يظل عاجزاً وقاصراً بمفرده عن حماية التراث التاريخي من التزوير والتحريف[١].

ويُعلل العاملي محدودية هذا المنهج في البحث التاريخي بأمرين أساسيين:

١. إمكانية تركيب الأسانيد الصحيحة على المتون المصنوعة:

إن الوضاعين ورجال السلطات الحاكمة في العصرين الأموي والعباسي لم يكونوا عاجزين عن تركيب سلاسل أسانيد رجالها ثقات ومشهورون بالحفظ، ليمرروا عبرها متوناً مكذوبة أو محرّفة تخدم أهدافهم السياسية. وبناءً عليه، فإن جودة السند الشكلي لا تُعد ضمانة قطعية لصحة المضمون التاريخي[٢].

٢. طبيعة الجمع والتدوين التاريخي:

إن كثيراً من الوقائع التاريخية المفصلية صُبت في المدوّنات الأولى عبر أسانيد مرسلة، أو منقطعة، أو عن طريق أخباريين لُحقوا بالضعف عند أهل الجرح والتعديل. فلو أُعملت قواعد الرجال الفقهية بصرامة متصلبة لَأُسقطت معظم المادة التاريخية للسيرة النبوية، ولضاعت حقائق مفصلية شهدت بها القرائن والحوادث المتواترة[٣].

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤١٥هـ، جـ ١، ص ٤٥ – ٤٧.

(٢) الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: جماعة المدرسين، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص ١٨ – ٢١.

(٣) دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، بيروت: مؤسسة المنتظر، ط١، ١٤١٢هـ، جـ ١، ص ٣٠ – ٣٣.

ثانياً: معالم "النقد المتني والتاريخي" ومداراته عند العاملي

أمام هذه المحدودية في النقد الشكلي، ينتهج العاملي مساراً نقدياً أوسع يُعطي الصدارة لـ «**النقد المتني والتاريخي المركّب**». وهو منهج لا يُهمل السند، بل يجعله خطوة أولى تُستكمل بمحاكمة المتن نفسه إلى منظومة من القواعد والمعايير العلمية الشاملة، التي يُمكن إيجاز أهم مداراتها في المحاور الآتية:

- **المحاكمة إلى الأصول الدينية الثابتة:**

يُعرض الخبر التاريخي أولاً على المحكم القرآني والسنة القطعية؛ فكل حادثة تُنسب إلى السيرة النبوية وتتضمن ما يمسّ عصمة النبي (صلى الله عليه وآله)، أو تناقض القيم القرآنية التأسيسية، تُردّ وتُطرح وإن أطبقت الأسانيد على صحة رجالها[١].

- **الاختبار بالضرورات العقلية والتاريخية:**

يخضع الخبر لمعيار الإمكان العادي والواقعي؛ فلا يُقبل من الأحداث التاريخية ما يناقض طبائع الاجتماع البشري، أو يتصادم مع البدائه العقلية، أو يتناقض مع المسلّمات الزمنية والجغرافية لبيئة الصدور[٢].

- **التحليل السياقي والسياسي لظروف الصدور والتدوين:**

يُدرس الخبر بوصفه منتجاً لبيئته؛ فيفحص الباحث الاتجاه السياسي للراوي، والظرف الاجتماعي الذي قيل فيه الخبر، ومدى خدمة هذا النص للجهة الحاكمة في "عصر الوضع". فإن تبيّن أن الخبر صُمّم لرعاية مصلحة سلطوية أو لإسقاط خصم سياسي، رجحت كفة كونه زوادة أيديولوجية[٣].

ثالثاً: القراءة التحليلية في صنيع العاملي وشواهده العلمية

لإبراز هذا التمايز المنهجي وتطبيقاته، يُمكن الوقوف على الرأي الذي يقرره العاملي في مقدمة موسوعته التاريخية؛ إذ يُصرح بضرورة التفريق بين وظيفة الفقيه ووظيفة المؤرخ النقّاد بالقول إن الاعتماد الصرف على قواعد الرجال والمصطلح، بالشكل الذي يُمارس في استنباط الأحكام الشرعية، لا يمكن أن يستوعب حركة التاريخ المعقدة؛ لأن الفقه يتطلب الحجة الشرعية المبرئة للذمة في العمل، بينما يطلب البحث التاريخي الوصول إلى الواقعة كما حدثت.

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، مصدر سابق، جـ ١، ص ٥٠ – ٥٣.

(٢) المصدر نفسه، جـ ١، ص ٥٦ – ٥٩.

(٣) الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)، السيد جعفر مرتضى العاملي، مصدر سابق، ص ٢٥ – ٢٨.

وإن الاقتصار على فحص السند قد يؤدي إلى القبول بالباطل المُنمق، أو رد الحق المجهول الإسناد[١].

ويُتابع موضحاً أزمة تركيب الأسانيد الصحيحة على المتون المصنوعة بقوله إن الوضاعين وأهل الأغراض لم يكونوا عاجزين عن تركيب أسانيد رجالية صحيحة ومقبولة على متون مكذوبة برمتها، ليمرروا من خلالها ما يشاؤون من الفضائل أو المطاعن. كما أن المباشرين لجمع التاريخ كثيراً ما نقلوا عن الضعفاء والمجاهيل وقائع صادقة أيدتها القرائن وشهدت لها البيئة التاريخية؛ لذا فإن المعيار الحاسم لدى المؤرخ المنصف هو محاكمة المتن وزنه بـ ميزان العقل، والقرآن، والظرف السياسي الناشئ فيه[٢].

قراءة تحليليّة في صنيع العاملي:

يُظهر التأمل العلمي في صنيع العاملي أنه يُحدث **"توازناً منهجياً"** يُنقذ البحث التاريخي من فخين: فخ القبول الساغبي للنصوص لمجرد صحة أسانيدها الشكليّة، وفخ الإسقاط العشوائي للتراث التاريخي بحجة ضعف الأسانيد.فالعاملي ينقل أداة التقييم من "الذات الناقلة" (الراوي) إلى "الموضوع المنقول" (المتن والواقعة) ومحيطه السياسي والاجتماعي.وهذا المسلك يمنح الناقد التاريخي مرونة واقتداراً في تفكيك الروايات التي صُيغت بذكاء في العصرين الأموي والعباسي؛ إذ إن كشف التناقض المتني أو التعارض مع البيئة السياسية يظل هو السبيل الوحيد لإسقاط الأحاديث الموضوعة التي جرى "تحصينها" بأسانيد رجالية ظاهرة الصحة.

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، مصدر سابق، جـ ١، ص ٤٨ (مقدمة الطبعة الأولى).

(٢) المصدر نفسه، جـ ١، ص ٥٢.

المبحث الثاني أثر التيارات السياسية في تشكيل مرويات السيرة عند العاملي (قراءة في الحوامل السياسية)

لم ينظر السيد جعفر مرتضى العاملي إلى مرويات السيرة النبوية بوصفها مدونات حيادية جرت وقائعها بعيداً عن صراعات النفوذ، بل أثبت في مشروعه النقدي أن النص التاريخي تعرض لعملية "إعادة هندسة" واسعة النطاق توافقت مع طبيعة الصراعات السياسية التي أعقبت العصر النبوي. وحيث إن السلطات المتعاقبة والتيارات الفئوية أدركت مبكراً خطورة السيرة في توجيه وعي الأمة وصياغة شرعيتها، فقد عمدت إلى توظيف آكلي الحروف والقصاص لإنتاج مرويات تخدم أهدافها. ويأتي هذا المبحث ليكشف عن كيفية تتبع العاملي لأثر التيارات السياسية الكبرى (الأموية، والعباسية، والزبيرية والعثمانية) في تشكيل المرويات، وذلك من خلال ثلاثة مطالب رئيسة:**المطلب الأول:** التيار الأموي وأثره في توجيه مرويات الفضائل والمغازي **.المطلب الثاني:** التيار العباسي وتشكيل المرويات التاريخية لخدمة الشرعية السلطوية وإضفاء المشروعية.**المطلب الثالث:** التيار الزبيري والاتجاهات العثمانية وأثرها في إعادة ترتيب المقامات والأحداث النبوية.

المطلب الأول: التيار الأموي وأثره في توجيه مرويات الفضائل والمغازي

أولاً: آليات التوجيه الأموي للمادة السيرية

يُحلل العاملي بعمق استراتيجي دور السلطة الأموية في إعادة كتابة الذاكرة التاريخية للإسلام المبكر؛ إذ يرى أن الدولة الأموية واجهت أزمة شرعية حادة نتيجة موقعها المتأخر في الإسلام وصراعها المباشر مع أهل البيت (عليهم السلام). ولمواجهة هذا المأزق، لجأت إلى سياسة مزدوجة شملت **"محو فضائل الخصوم"** و"اصطناع مناقب بديلة" للشخصيات التي تدعم وجودها السلطوي[١].

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤١٥هـ، جـ ١، ص ٨٥ – ٨٨.

وقد استند هذا التوجيه إلى آليات دقيقة، أبرزها:

١. **الوضع الممنهج للفضائل:** اختلاق أحداث ومرويات ترفع من شأن بعض الصحابة وتضعهم في مصافٍ توازل أو تفوق مقام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، عبر نقل المواقف والمناقب النبوية وصرفها عن مستحقيها الحقيقيين[١].

٢. **تشويه صورة الخصوم السياسيين:** إبراز المواقف النبوية تجاه المعارضين بصورة سلبية، وإلصاق تهم الغلو أو الضعف السياسي بالشخصيات المناوئة لبيت بني أمية، لكي يبدو صعودهم السياسي وكأنّه مسار تاريخي طبيعي لا غبار عليه[٢].

ثانياً: شواهد ومظاهر التحريف في مرويات المغازي

يُبرهن العاملي على أن أحداث المغازي الكبرى (كأحداث بدر، وأحد، والخندق، وفتح مكة) لم تسلم من عبث الصياغة الأموية؛ حيث جرى التخفيف من وقع هزائم بعض الشخصيات البارزة في تلك الحروب، أو تضخيم أدوارهم البطولية بشكل يتقاطع مع النصوص التاريخية الموثوقة. وفي المقابل، تم التقليل من المحور الجهادي لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) وحجب دوره الحاسم في حماية الدعوة النبوية، عبر إسقاط القرائن أو تحريف أسباب النزول في الآيات الواردة في حقه[٣].

ثالثاً: القراءة التحليلية في آراء العاملي وشواهده النصية

يُقرر العاملي في معرض تحليله لهذه الظاهرة بأن السلطة الأموية لم تكتفِ بالصراع العسكري والسياسي، بل أدركت أن السيطرة على العقول تبدأ من السيطرة على الذاكرة التاريخية؛ إذ يُشير في دراساته إلى أن بني أمية عمدوا إلى تسخير طاقات واسعة من القصاص ورواة الحديث لتشجيع وضع الأخبار التي ترفع من شأن أشخاص معينين، وتضع من شأن آخرين، حتى صار النيل من أهل البيت (عليهم السلام) وتعظيم خصومهم سنة رسمية تُطلب بها العطايا وتُكسب بها الحظوة لدى الولاة[٤].

---

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: جماعة المدرسين، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص ٤٢ – ٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨ – ٥٠.

(٣) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، مصدر سابق، جـ ٢، ص ١٥ – ٢٠.

(٤) المصدر نفسه، جـ ١، ص ٩٢.

ويُتابع العاملي مبيناً الأثر المنهجي لهذا الانحراف بالقول إن تتبع هذه المرويات يكشف بوضوح أن كثيراً من أحداث السيرة التي تُصور النبي (صلى الله عليه وآله) بمظهر المتردد أو الضعيف أمام ضغوط بعض الصحابة، إنما هي صياغات أموية متأخرة أرادت أن تُبرر للمسارين السياسيين اللاحقين استقلالهما عن الخط العلوي الطاهر، وجعل الواقع السياسي الأموي امتداداً طبيعياً للمسار النبوي[١].

قراءة تحليليّة في صنيع العاملي:

يُقدم العاملي في تحليله للتيار الأموي رؤية سوسيوسياسية متقدمة؛ فهو لا يتعامل مع النصوص التاريخية باعتبارها تسجيلاً عفوياً، بل يراها "**منتجاً أيديولوجياً لخطاب السلطة**".

فالتحريف الأموي لم يكن نزوة عابرة، بل كان مؤسسة متكاملة لها رجالاتها وموازنتها.وهذا يفرض على الباحث النقاد في مدرسة العاملي ضرورة عزل الروايات الصادرة في بيئة الشام أو برعاية الولاة الأمويين، ومحاكمتها إلى المعايير الموضوعية لرفع ما علق بها من تشويه مقصود.

---

(١) *المصدر نفسه*، جـ ١، ص ٩٦ – ٩٨.

المطلب الثاني: التيار العباسي وتشكيل المرويات التاريخية لخدمة الشرعية السلطوية وإضفاء المشروعية

أولاً: مرتكزات التوجيه العباسي للسيرة والحدث التاريخي

يُشير السيد جعفر مرتضى العاملي إلى أن التحول السياسي الكبير الذي شهدته الأمة مع انقضاء الدولة الأموية وصعود العباسيين لم يقطع مع ظاهرة التوجيه الأيديولوجي للحدث التاريخي، بل أعاد إنتاجها بأساليب أكثر دقة وتعقيداً. فقد رفع العباسيون في بداية حراكهم شعار «الدعوة إلى الرضا من آل محمد»، مستغلين التعاطف الشعبي مع مظلومية الطالبيين، غير أنهم سرعان ما انقلبوا على هذا المرتكز بعد استتباب الأمر لهم، فواجهوا أزمة مشروعية حادة أمام الرأي العام الإسلامي الذي كان يرَى في السلالة العلوية الأحقية والامتداد الطبيعي للبيت النبوي[١]ولمواجهة هذه الأزمة المعرفية والسياسية، عمدت السلطة العباسية إلى بناء "منظومة تاريخية ورجالية" تُعيد تشكيل المادة السيرية والحديثية بما يضمن إثبات الشرعية لبيت العباس؛ فتفتقت السياسة العباسية عن طرح أطروحات فقهية وتاريخية جديدة، كدعوى «وراثة العم دون البنت» أو «ميراث العباس من النبي بدلاً من العترة العلوية»، وهو ما تطلب بالضرورة زجّ مرويات نسبية وسيرية تُسند هذه الدعاوى وتُرسخها في الذائقة الفقهية والأخبارية[٢].

ثانياً: أدوات الصياغة العباسية للمرويات النبوية والتاريخية

تتبّع العاملي الآليات النقدية التي اعتمدها العباسيون في إعادة صياغة مرويات السيرة والحديث، متقاطعاً في تحليله مع ما وثّقته أمهات المصادر التاريخية والتراجم؛ حيث تتلخص تلك الأدوات في المحاور الآتية:

١. الرعاية الرسمية لتدوين السيرة والمغازي:

شهد العصر العباسي الأول حركة التدوين الرسمية الشاملة للسيرة النبوية تحت رعاية الخلفاء (كالمنصور والمهدي)؛ حيث كُلّف أخباريون ومحدثون بمهمة جمع وتدوين تاريخ المغازي والمبعث. وأدى هذا الإشراف الحكومي المباشر إلى تشذيب السيرة من الروايات التي تُبرز المكانة النقدية والسياسية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)،

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤١٥هـ، ج ١، ص ١٠٢ – ١٠٥.

(٢) الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: جماعة المدرسين، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص ٦٢ – ٦٦.

مقابل تركيز الضوء على الأدوار التاريخية للعباس بن عبد المطلب وأبنائه، وإحاطة تحركاتهم بمشاهد توهم التنبؤ المبكر بصعود دولتهم[١].

٢. اختلاق مرويات البشارات والرايات السود:

نشطت في العصر العباسي حركة واسعة لنسج أحاديث غيبية تُنسب للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) تتحدث عن ظهور «الرايات السود من خراسان»، وتُبشر بخلافة السفاح والمنصور والمهدي العباسي. وقُصد من هذه المرويات إسباغ صبغة القدر الإلهي والوعد النبوي المحتوم على الثورة العباسية لتجريد أي معارضة علوية أو شعبية من شرعيتها[٢].

٣. تحريف مواقف السيرة لتسويغ الممارسات السلطوية:

عُدّلت بعض الحوادث النبوية لتبرير سلوكيات الخلفاء العباسيين في بطشهم بالخصوم واستئثارهم ببيت المال؛ حيث وُضعت مرويات تُصور النبي (صلى الله عليه وآله) قاسي المعاملة في بعض المواقع، أو تُشرع للحاكم إهدار الدماء بالشبهة، لتبدو سياسات المنصور والرشيد امتداداً لسلوكيات العهد النبوي[٣].

ثالثاً: القراءة التحليلية الشاملة لمباني العاملي ومناقشتها في ضوء المصادر

يُقرر العاملي في كتاباته أن الخطورة في التيار العباسي تكمن في أنه مارس "تحريفاً ناعماً" يستتر بشعار الانتساب للبيت الهاشمي. فالعباسيون لم يعادوا الهاشميين علناً كما فعل الأمويون، بل ادعوا أنهم الناطقون باسمهم والوارثون لشرعيتهم؛ مما جعل عملية كشف الزيف في مروياتهم تتطلب جهداً نقداً مضاعفاً لا يقف عند ظاهر السند.ومثال ذلك ما ورد في روايات الهجرة والحصار في الشعب؛ إذ سعت المرويات العباسية إلى إبراز دور العباس بن عبد المطلب في حماية النبي (صلى الله عليه وآله) ومقاسمة الشدائد معه، مع إغفال التضحيات الجسيمة والتاريخية التي قدمها أبو طالب بن عبد المطلب وأبناؤه؛ وذلك لغرض تحويل رمزية "الحماية النبوية" من الفرع الطالبي إلى الفرع العباسي[٤].وقد استخلص العاملي من ذلك نتيجة منهجية مفادها: أن المؤرخ الفاحص لا يمكنه القبول بروايات الفضائل السياسية أو التنبؤات المستقبلية الواردة في العصر العباسي دون عرضها على الميزان العقلي، والمحكم القرآني، والتسلسل الزمني الثابت للوقائع؛ لأن أيدي الوضع التابعة لبلاط العباسيين كانت أشد خفاءً وأنفذ أثراً في المدوّنات التاريخية من غيرها[٥].

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق: شارل بلا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٦م، ج ٣، ص ٢١٠ – ٢١٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ، ج ٧، ص ٤١٠ – ٤١٥.

(٣) دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، بيروت: مؤسسة المنتظر، ط١، ١٤١٢هـ، ج ٢، ص ٨٥ – ٨٩.

(٤) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م، ج ٤، ص ١٤٨ – ١٥٢.

(٥) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، مصدر سابق، ج ١، ص ١١٢ – ١١٦.

المطلب الثالث: التيار الزبيري والاتجاهات العثمانية وأثرها في إعادة ترتيب المقامات والأحداث النبوية

أولاً: جغرافية التيار الزبيري والنزعة العثمانية في التدوين التراثي

يتتبع السيد جعفر مرتضى العاملي خطورة التوجيه التاريخي الذي مارسه "التيار الزبيري" بالتكامل مع "الاتجاهات العثمانية" (نسبة إلى النزعة الفكرية والسياسية المناوئة لخط الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام)؛ إذ إن هذه الاتجاهات لم تقف عند حدود التحريف الجزئي، بل امتد تأثيرها إلى **"إعادة صياغة الخارطة الزمنية والمعنوية"** لأحداث السيرة النبوية الشريفة(١).

فقد نجح آل الزبير—وعلى رأسهم عروة بن الزبير الذي يُعدّ العمدة في التأسيس الأولي لمرويات المغازي والسير لدى ابن إسحاق وابن شهاب الزهري—في تأسيس "مدرسة أخبارية" صاغت كثيراً من الأحداث النبوية تحت تأثير الخصومة التاريخية والسياسية الحادة بين بني الزبير وبني هاشم؛ تلك الخصومة التي بلغت أوجها في حركة عبد الله بن الزبير وحصاره لبني هاشم في الشعب(٢)وقد التحمت هذه الرغبة الزبيرية مع "العثمانية" بوصفها فرقة كلامية وسياسية تهدف إلى تجريد أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسبقيته العلمية والجهادية، وإعادة ترتيب طبقات الصحابة بما يُقدّم غيره عليه في المشاهد المفصلية للدعوة النبوية(٣).

ثانياً: مظاهر إعادة ترتيب المقامات والأحداث التاريخية عند العاملي

تتعدد المظاهر النقدية التي كشف من خلالها العاملي عن بصمات هذا التيار في مدونات السيرة، ويمكن إيجاز أبرز تلك المظاهر والآليات في النقاط الآتية:

١. **العبث بالتاريخ الزمني للأحداث (التقديم والتأخير):**

عمد الراوون الزبيريون والعثمانيون إلى تقديم بعض الوقائع التاريخية أو تأخيرها عن زمنها الحقيقي؛ لغرض سلب ميزة "السبقية" عن الشواهد الدالة على تقدم علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الإسلام،

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤١٥هـ، جـ ١، ص ١٢٠ – ١٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٩م، جـ ٤، ص ٦٣ – ٦٧.

(٣) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: جمعية المستشرقين الألمانية، ط١، ١٩٧٩م، جـ ٥، ص ٣٥٥ – ٣٥٨.

كتقديم إسلام بعض الشخصيات الفاعلة في البيئة المكية وتأخير حادثة "دعوة العشيرة" (حديث الدار) أو التخفيف من دلالتها الهيكلية في التأسيس للوصية والخلافة(١).

٢. **تحريف الرتب الفضلية وإعادة صناعة الألقاب:**

نشط هذا الاتجاه في إسباغ الألقاب والمقامات النبوية (كالصديق، والفاروق، وأمين الأمة) على شخصيات معينة في مرحلة مكية مبكرة، وإدخالهم في مشاهد لم يكونوا جزءاً فاعلاً فيها؛ وذلك لإيقاع التكافؤ الشكلي مع المقامات الخاصة التي ثبتت لنبي الهدى (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته عبر النصوص القرآنية والسنن الجلية(٢).

٣. **حجب المواقف التاريخية للفرع الهاشمي:**

تجلت الرغبة الزبيرية في طمس أدوار بني هاشم عبر تحييد تضحيات أبي طالب في مكة، وتقليل الشأن الجهادي لأعلام الهاشميين في بدر وأحد وحنين، مقابل تضخيم أدوار شخصيات زبيرية أو قرشية أخر، لتظهير السيرة النبوية وكأنها إنجاز قبلي مشترك تتقاسم فضيلته بطون قريش دون اختصاص للبيت النبوي(٣).

ثالثاً: التحليل النقدي لمباني العاملي ومناقشتها في ضوء المصادر

يُشير العاملي إلى أن القارئ الفاحص لمدونات السيرة الأكاديمية لا يمكنه المرور سراعاً على المرويات المنقولة عن طريق عروة بن الزبير دون استحضار البعد السياسي والاجتماعي لموقعه؛ فعروة لم يكن راوية حيادياً، بل كان يُمثل لسان حال المشروع الزبيري في صراعه المفتوح مع الهاشميين وبني أمية على حد سواء.ويُعضد طرح العاملي ما وثّقه ابن أبي الحديد المعتزلي عن المدائني، من أن معاوية بن أبي سفيان ثم آل الزبير وضعوا خطة كبرى للقصاص والمحدثين ترتكز على حمل الناس على رواية الأخبار التي ترفع من شأن بعض الصحابة وتضع من قدر علي (عليه السلام).

---

(١) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥هـ، جـ ١، ص ٢٤٠ – ٢٤٥.

(٢) دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، بيروت: مؤسسة المنتظر، ط١، ١٤١٢هـ، جـ ٢، ص ١٠٢ – ١٠٦.

(٣) تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ، جـ ٢، ص ٣١٨ – ٣٢١.

كما أكد البلاذري في أنساب الأشراف الموقف الصارم لعبد الله بن الزبير تجاه بني هاشم وقطعه الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبه لعدة أشهر بحجة أنه "إن أقرّ باسمه أشرأبت أعناق أهل بيته وتعاظموا"[١].ويرى العاملي أن هذا الجو السياسي المفعم بالخصومة ينعكس أثره بوضوح في الروايات السيرية التي رواها عروة؛ كحادثة "بدء الوحي" وما وُصف فيها من اضطراب النبي (صلى الله عليه وآله) وشكه في نبوته وذهابه إلى ورقة بن نوفل. إذ يتصدى العاملي لهذه المرويات بالتفنيد العلمي، مبنياً أنها صياغة زبيرية تُسقط العصمة النبوية وتُصور النبي بأسلوب يحتاج فيه إلى تثبيت من رجل نصراني، لتجريد الرسالة من صبغتها الغيبية المباشرة، وتفتيت المكانة المعنوية لأهل بيته الذين كانوا الأسبق للإيمان به والتصديق بنبوته[٢].وينتهي العاملي من هذا التفكيك النقدي إلى قاعدة منهجية مفادها: أن دراسة السيرة النبوية تقتضي إخضاع المرويات الصادرة من البيوتات السياسية (كالبيت الزبيري) إلى عملية "مقص مراجعة" صارمة؛ يُقابل فيها المأثور المتني بأصول المذهب القرآني، والعقل الصريح، والروايات التاريخية المتواترة، لاستنقاذ الحقائق النبوية الناقعة من تحت ركام التوظيف السياسي والأيديولوجي.

---

(١) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، مصدر سابق، جـ ٥، ص ٣٦٠.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، مصدر سابق، جـ ١، ص ١٣٠ – ١٣٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله الطاهرين.

وبعد؛ فقد سعى هذا البحث إلى تقصي واستكلاء آليات "**النقد التاريخي والسوسيوسياسي**" عند العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي (رحمه الله)، من خلال تسليط الضوء على كيفية استثماره لقرينة "**تحليل التيارات السياسية في عصر الوضع**" بوصفها أداة نقدية تفكيكية لمرويات السيرة النبوية الشريفة.

وقد كشفت الدراسة أن المأثور السيري لم ينشأ في مدونات معزولة عن بيئتها الصادرة فيها، بل كان في كثير من أبعاده محطة اشتباك وتدافع بين السلطات المتعاقبة (الأموية، العباسية، والزبيرية والعثمانية) التي أدركت الأهمية التشريعية والمعنوية للخبر النبوي والسيري، فعمدت إلى توظيف بيت المال والإعلام السلطوي لإعادة صياغة التاريخ بما يخدم شرعيتها ويسوغ سياساتها.

وقد استطاع العاملي بملكته الأصولية واستقرائه الموسوعي الشامل أن يتجاوز الجمود الشكلي للنقد الرجالي المقتصر على ظاهر الإسناد، ليؤسس لمدرسة نقدية تعطي الصدارة لـ "**نقد المتن والسياق السياسي**"؛ فرسخ قواعد محاكمة الخبر السيري إلى المحكم القرآني، والعقل الصريح، واتجاهات الصراع السلطوي في عصر الصدور وعصر التدوين.

النتائج العلمية للبحث

انتهى البحث إلى جملة من النتائج المنهجية والمعرفية، يُمكن إيجاز أهمها في النقاط الآتية:

١. **تأصيل مفهوم «عصر الوضع» بوصفه سلوكاً مؤسساتياً:** أثبتت الدراسة أن الوضع والتحريف في السيرة والحديث عند العاملي لم يكن مجرد هفوات فردية أو نزوات عارضة لبعض القصاص والوضاعين، بل كان سياقاً رسمياً ومنظماً ترعاه الدولة وتغذيه بيت المال لشراء الأحاديث وصناعة الفضائل والمطاعن.

٢. **عجز النقد الرجالي الأسنادي بمفرده في الحقل التاريخي:** خلص البحث إلى أن الاقتصار على فحص أسانيد الرجال لا يكفي لحماية السيرة النبوية من التزوير؛ للقدرة الفائقة للوضاعين على تركيب أسانيد صحيحة ظاهرياً على متون مصنوعة أو محرفة، مما يتطلب إعمال "النقد المتني الشامل".

٣. **تعدد أشكال التوجيه السياسي للمادة السيرية:** أظهر البحث تباين الآليات التي اعتمدتها التيارات السياسية في التعاطي مع السيرة:

- **التيار الأموي:** اعتمد سياسة المحو المباشر لفضائل آل البيت (عليهم السلام)، واصطناع مناقب منافسة، والتخفيف من وقع الهزائم التاريخية لرموزه في المغازي.
- **التيار العباسي:** مارس تحريفاً ناعماً تحت شعار الانتساب للبيت الهاشمي، من خلال وضع أحاديث التنبؤات والرايات السود، واصطناع أسبقيات وأدوار تاريخية للعباس بن عبد المطلب وأبنائه على حساب الفرع الطالبي.
- **التيار الزبيري والعثماني:** أثر في صياغة التاريخ الزمني عبر تقديم الأحداث وتأخيرها، وإعادة توزيع الألقاب والمقامات النبوية، وإبراز مرويات تُسقط العصمة النبوية (كمرويات بدء الوحي والاضطراب) لتجريد الدعوة من أبعادها الغيبية الصافية.

٤. **حجية الشك المنهجي البنّاء:** برهن البحث على أن الشك المنهجي لدى العاملي لا يعني إسقاط التراث التاريخي أو إنكاره، بل يمثل أداة تفكيكية لاستنطاق النص عبر طرح أسئلة الظرف والسياسة (من المستفيد؟ وما الظرف السياسي للصدور؟) لاستنقاذ الحادثة النبوية الصحيحة من شوائب التوظيف الأيديولوجي.

ثالثاً: التوصيات والآفاق المستقبلية

بناءً على ما انتهت إليه هذه الدراسة، يوصي الباحث بالآتي:

١. **توسيع أفق تطبيق المنهج السوسيوسياسي:** دعوة طلاب الدراسات العليا في جامعة بغداد إلى تطبيق القواعد النقدية للعاملي على مراحل تاريخية أخرى، كعصر الخلافة المبكرة وعصر العشرين الأموي والعباسي.

٢. **إجراء دراسات مقارنة:** إعداد أبحاث مقارنة بين منهج السيد جعفر مرتضى العاملي في نقد التاريخ وبين مناهج المدرسة النقدية الغربية الحديثة (كـ "مدرسة نقد التاريخ" أو "التحليل الأيديولوجي للنص") لإبراز الأصالة والمعاصرة في مشروعه.

٣. **بناء مدونات ومقاييس نقدية للخبر التاريخي:** إفراد أطاريح علمية تُعنى بجمع وحصر الأحاديث والمرويات السيرية التي ثبت وضعها أو تحريفها بدوافع سياسية، وتصنيفها وفق الجدول الزمني للتيارات الحاكمة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: مؤلفات صاحب الأطروحة (السيد جعفر مرتضى العاملي)

١. الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: جماعة المدرسين، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٢. دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، بيروت: مؤسسة المنتظر، ط١، ١٤١٢هـ.

٣. الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، قم: المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤١٥هـ.

ثالثاً: المراجع التاريخية والحديثية والتراجم (مرتبة ألفبائياً باسم الكتاب)

٤. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: جمعية المستشرقين الألمانية، ط١، ١٩٧٩م.

٥. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م.

٦. تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ.

٧. تراجم الرجال والمعاصرين، محمّد حسام الأعرجي، قم: دار التراث، ط١، ١٤٢٨هـ.

٨. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي ، ط٢، ١٣٧٥هـ.

٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٩م.

١٠. الكامل في التاريخ، علي بن محمد ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ.

١١. مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، تحقيق: شارل بلا،: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٦م.

رابعاً: المجلات والدوريات العلمية

١٢. جهود السيد جعفر مرتضى العاملي في تحقيق السيرة النبوية، هيئة التحقيق، مجلة **تراثنا**، قم: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، العدد ١١٢، ١٤٣١هـ